



# ANNALES ISLAMOLOGIQUES

en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne

AnIsl 41 (2007), p. 45-65

Hišām bin Muḥammad ‘Alī Ḥasan ‘Uğaymī

-al ṭarīq fī ḥāğğ-al dāt Qal‘at. دراسة معمارة وثائقية. قلعة ذات الحاج في طريق الحجاج الشامي: Dirāsa mi‘māriyya waṭā‘īqiyya ḥāğğ al-šāmī.

#### Conditions d'utilisation

L'utilisation du contenu de ce site est limitée à un usage personnel et non commercial. Toute autre utilisation du site et de son contenu est soumise à une autorisation préalable de l'éditeur (contact AT ifao.egnet.net). Le copyright est conservé par l'éditeur (Ifao).

#### Conditions of Use

You may use content in this website only for your personal, noncommercial use. Any further use of this website and its content is forbidden, unless you have obtained prior permission from the publisher (contact AT ifao.egnet.net). The copyright is retained by the publisher (Ifao).

#### Dernières publications

9782724711714	<i>La pensée et la pratique pharmacologiques d'Avicenne</i>	Sylvie Ayari
9782724711899	<i>BCAI 40</i>	
9782724711288	<i>Karnak-Nord XI</i>	Colin Hope
9782724711622	<i>BIFAO 126</i>	
9782724711059	<i>Les Inscriptions de visiteurs dans les Tombes thébaines</i>	Chloé Ragazzoli
9782724711455	<i>Les émotions dans l'Égypte Ancienne</i>	Rania Y. Merzeban (éd.), Marie-Lys Arnette (éd.), Dimitri Laboury, Cédric Larcher
9782724711639	<i>AnIsl 60</i>	
9782724711448	<i>Athribis XI</i>	Marcus Müller (éd.)

هشام بن محمد على حسن عُجيمى

## قلعة ذات الحاج في طريق الحجاج الشامى

### دراسة معمارية وثائقية

ذات الحاج، اسم لقرية تقع شمال غرب المملكة العربية السعودية قرب دائرة عرض ٣-٢٩° شمالاً، وخط طول ١٠-٣٦° شرقاً<sup>١</sup>. وهى إحدى محطات طريق الحجاج الشامى الذى يصل بين مكة المكرمة ودمشق<sup>٢</sup>، ولم تحظ بالدراسة التاريخية والمعمارية من قبل.

وذكرت المصادر اسم هذه المحطة بعدة ألقاب هي: ذات الحاج، دار الحج، ذات حج، ذات حاج، ذات الحج، حج، فورد في شعر جميل بثينة<sup>٣</sup>:

وليلة بتنا ذات حاج ذكرتكم هذوء وقد نام الخليل المصحح

وقوله:

بدت بدوة لما استقرت حمولها بيثنة بين الجرف والحاج والنخل

وقال الصلاح الصفدى<sup>٤</sup>:

سلطنا الفج نقصد ذات حج فطرق للهداية مستقلة

فآثار المطى بها بدور وآثار الجياد بها أهله

وقال النابلسى<sup>٥</sup>:

أتيننا ذات حج بنفس ذات حج

وذلك بعد حج وعج ثم حج

والاسم المستخدم بين أهلى المنطقة حالياً هو حج.

أستاذ مشارك بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية - جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية.

١. سيد عبدالمجيد بكر، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص ١٩٦.

٢. محمد لبيب البتنونى، الرحلة الحجازية، ص ٣٠٤، الخريطة؛ وكذلك

الخريطة التى فى هذا البحث شكل (١).

٣. حمد الجاسر، المعجم الجغرافى، القسم الأول، ص ٣٧٠.

٤. الجزيرى، درر الفوائد، ص ٤٥٦.

٥. النابلسى، الحقيقة والمجاز، لوحة ٣٥٦.

وتقع ذات الحاج في وادٍ يتراوح ارتفاعه عن سطح البحر من ٥٠٠-١٠٠٠ م<sup>٦</sup>، وتربتها صالحة للزراعة، وتكثر بها المياه الجوفية، وقد وصف ابن بطوطة<sup>٧</sup> ذات الحاج بأنها «حسيان»<sup>٨</sup>.

وذكرها البغدادي<sup>٩</sup> في مراصده بأنها «ماء بطريق مكة من جهة الشام»، وذكرها الجزيري<sup>١٠</sup> حوالى سنة ٩٦٠ هـ/ ١٥٦٣ م أن بها «ماء عذب سائغ مستطاب»، كما ذكرها كبريت<sup>١١</sup> أن «بها ماء ونخيل وشجر توت»، ووصفها الخياري المدني<sup>١٢</sup> أن بها عيون ماء ونخل يطلق عليه بالتركية عاصى خرمه، وذكر النابلسي<sup>١٣</sup> أن «بها ماء كثير». وما زالت ذات الحاج غنية بالماء، ومن أشهر العيون بها حالياً عين سالمه وعين الرحيلي.

ونتيجة لتوفر الماء والشجر في محطة ذات الحاج فقد اتخذها ركب الحاج الشامي محطة يستريح بها، فهي المحطة الثانية عشرة من محطات استراحة ركب الحاج الشامي من حين خروجه من دمشق حتى يصل مكة المكرمة. كما يتزود ركب الحاج الشامي من محطة «ذات الحاج» بالماء لأن محطة تبوك تبعد عنها بحوالى عشرين ساعة<sup>١٤</sup> في رحلة الذهاب إلى الحج، كما يتزود منها الركب بالماء الكثير في رحلة إياه إلى دمشق، لأن بعد ذلك «ثلاث منازل لا ماء فيها إلى قلعة معان»<sup>١٥</sup>.

أما عن زمن اتخاذ ركب الحاج الشامي لذات الحاج محطة لاستراحته، فإن المصادر الجغرافية المتقدمة لم تذكر اسم هذه المحطة أثناء تتبعها لمحطات هذا الطريق، ولعل أول من ذكرها البغدادي<sup>١٦</sup> (ت ٧٣٩ هـ/ ١٣٣٨-١٣٣٩ م) في مراصده إلا أنه لم ينص على أنها محطة للاستراحة. ثم ذكرها ابن بطوطة<sup>١٧</sup> (ت ٧٧٩ هـ/ ١٣٧٧ م) في رحلته بقوله: «وبعد مسيرة يومين نزلنا ذات حج وهي حسيان لا عمارة بها».

ويبدو أن محطة ذات الحاج لم يكن بها أى شكل من أشكال العماير طوال فترة العصر المملوكي، ولعل ذلك يرجع إلى تحول طريق الحاج الشامي عن خطة المعروف مدة تزيد على المائتي عام والتي حددها المقرئى بقوله: «من أعوام بضع وخمسين وأربعمائة إلى أعوام بضع وستين وستائة»<sup>١٨</sup>، بسبب الاضطرابات السياسية في تلك الفترة، وخاصة التسلط الصليبي على المنطقة.

وعند عودة ركب الحاج الشامي إلى طريقه المعتاد، كانت تبعية الطريق للدولة المملوكية، التي قامت بتنظيم أمور الحج وطرقه بصفة عامة، وطريق الحاج الشامي والمصرى بصفة خاصة.

والجدير بالملاحظة أن محطة «ذات الحاج» لم تحظ بأى تحصين في الفترة المملوكية، وربما يرجع ذلك إلى إدراك المماليك بعدم جدوى إنشاء أى تحصين بها، نظراً لبعدها موقع ذات الحاج عن طريق إمدادات الدولة التي كانت قاعدتها مضر لسواحل البحر الأحمر، والسواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط اللذين تكررت فيهما هجمات الفرنجة منذ أوائل القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي<sup>١٩</sup>، في الوقت الذي حرص فيه سلاطين المماليك على تحصين طريق الحجاج

٦. سيد عبد المجيد بكر، الملامح الجغرافية لدروب الحج، ص ١٩٦.
٧. ابن بطوطة، تحفة النظار، ص ١١١.
٨. جمع حسى، وهي الأرض التي يستنقع فيها الماء، انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة حسى.
٩. البغدادي، مراصد الاطلاع، ج ٢، ص ٥٨٣.
١٠. الجزيري، درر الفرائد، ص ٤٥٦.
١١. كبريت، رحلة الشتاء والصيف، ص ٢٣٣.
١٢. الخياري، تحفة الأدباء، ج ١، ص ٧٧.
١٣. النابلسي، الحقيقة والمجاز، القسم الثالث، لوحة ٣٥٦.
١٤. حسب سير جمل المحمل.
١٥. النابلسي، الحقيقة والمجاز، القسم الثالث، لوحة ٣٥٦.
١٦. البغدادي، مراصد الاطلاع، ص ٥٨٣.
١٧. ابن بطوطة، الرحلة، ص ١١١.
١٨. المقرئى، المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ٣٥٦.
١٩. أحمد دراج، المماليك والفرنج، ص ١٥٥.

المصري، فأنشأوا القلاع في كل من محطة عَجْرُود، ونَحْل، والعَقَبَة، والأزمن<sup>٢٠</sup>، لتكون مراكز إمداد للجيش المملوكية التي تحمي السواحل الشرقية للبحر الأحمر، فضلاً عن تقديم خدماتها لركب الحجيج.

وعند انتقال السلطة إلى الأتراك العثمانيين في كل من الشام ومصر والحجاز، انتقلت إليهم مسؤولية حماية الأراضي المقدسة بصفة خاصة وأقاليم المنطقة بصفة عامة، فورثوا بذلك مسؤولية الدفاع عن الحجاز ومِصر من خطر البرتغاليين ونشاطهم الدائم في البحر الأحمر.

ومن الأساليب التي أتبعها العثمانيون في التصدي للحظر البرتغالي في المنطقة، إنشاء سلسلة من القلاع في المناطق المهمة على طول السواحل الشرقية لكل من البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط، فضلاً عن بعض القلاع الداخلية الموازية لقلاع السواحل، بهدف أن تكون تلك القلاع سلسلة متصلة تسهل الإمداد ونقل الأخبار وحشد الجنود والسلاح بها، وتقديم خدمات لركب الحجيج.

وكانت محطة «المدورة» أقرب النقاط المحصنة شمال «ذات الحاج»، وتبعد عنها حوالي ١٢ ساعة، أما من ناحية الجنوب فأقرب النقاط المحصنة هي محطة «تبوك»<sup>٢١</sup>، وتبعد عنها حوالي ٢٠ ساعة، وهذا يعني أن ركب الحجيج يقطع المسافة بين قلعة «المدورة» وقلعة «تبوك» في زمن قدره ٣٢ ساعة أي أكثر من يوم، حسب سير جمل المحمل. لذا كان لابد من اتخاذ محطة «ذات الحاج» محطة يبيت فيها ركب الحاج الشامي، ومبيت الحاج في محطة «ذات الحاج» يشكل خطراً على الركب، لأن هذه المنطقة كانت في فترات كثيرة غير مأمونة من هجوم بعض القبائل على قافلة الحاج، خاصة في الفترات التي تنقطع فيها مخصصات القبائل المكلفة بحراسة الطريق، أو عندما يطالبون بزيادة المخصصات<sup>٢٢</sup>، لذا كان بناء قلعة في محطة «ذات الحاج» ضرورة ملحة لحماية موارد الماء المتوفرة بها، وحماية ركب الحاج أثناء نزوله بها فضلاً عن تخزين المؤن اللازمة لركب الحجاج الشامي، وكانت تتبع إدارياً لولاية الشام<sup>٢٣</sup>.

## تاريخ عمارة القلعة

في شهر ذي القعدة من عام ٩٦٧ هـ/ ١٥٥٩ م، صدر أمر من السلطان سليمان القانوني<sup>٢٤</sup>، إلى ولاية دمشق ببناء قلعة في محطة ذات الحاج، أكد على ذلك من المؤرخين المعاصرين أبي العباس أحمد بن يوسف الدمشقي الشهير بالقرماني<sup>٢٥</sup>. كما ذكر كبريت<sup>٢٦</sup> في رحلته لأداء الحج سنة ١٠٣٩ هـ/ ١٦٢٩ م أن محطة ذات الحاج فيها «قلعة لطيفة»، وهذا أول نص يدل على وجود قلعة في هذه المحطة، كما أورد الغزي<sup>٢٧</sup> في كواكبه في ترجمة السلطان سليمان القانوني، الأمر ببناء

٢٣. النابلسي، الحقيقة والمجاز، القسم الثالث، لوحة ٣٥٦.  
٢٤. تولى السلطة في الفترة من سنة ٩٢٦ هـ/ ١٥٢٠ م إلى سنة ٩٧٤ هـ/ ١٥٦٦ م؛ Danismend, *Izahli Osmanli tarihi* Kronolojisi, p. 59-360.

٢٥. القرماني، كتاب أخبار الدول، ص ٤٤٠.  
٢٦. كبريت، رحلة الشتاء والصيف، ص ٢٣٣.  
٢٧. الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، ج ٣، ص ١٥٧.

٢٠. هشام عجيمي، قلاع الأزمن والوجه وضبا، ص ١-٢٦؛ سامي صالح عبدالملك، درب الحاج المصري همزة وصل، ص ١٦١-٢٤٨، ٣٠٦-٣٣٥، أشكال (١٥-١٧، ٢٣، ٢٤) لوحات (٢٢-٣٩، ٥٨، ٥٩)؛ قلعة نَحْل، ص ١٤٥-٢٠٥، أشكال (١-٥)، لوحات (١-٥٢).

٢١. هشام عجيمي، قلعة تبوك، ص ١٣٥.  
٢٢. نوفان رجا الحمود، العسكر في بلاد الشام، ص ١٠١.

قلعة في محطة «ذات الحاج»، وذكر الخياري<sup>٢٨</sup> في تحفته التي تُؤرخ رحلته للحج سنة ١٠٨٠ هـ/ ١٦٦٩ م أن في ذات الحاج قلعة.

والنص المؤرخ المثبت على جدار القلعة يثبت أن القلعة بُنيت في شهر صفر من عام ٩٧١ هـ/ ١٥٦٣ م<sup>٢٩</sup>. وجرى على مبنى قلعة ذات الحاج ترميم شامل كان من الفخامة بحيث أُرِخ له بنص كُتِب على حجر من الرخام مؤرخ في شهر محرم من سنة ١٢٦٦ هـ/ ١٨٤٩ م<sup>٣٠</sup>، وتم هذا التجديد في عصر السلطان العثماني عبدالمجيد الأول بن محمد الثاني<sup>٣١</sup>. وهذا التجديد كان ضرورة حتمية للحفاظ على مبنى القلعة، نظراً لخطورة وأهمية وظيفتها، فالدولة العثمانية كانت تعتمد على قلاع منطقة الشام بصفة عامة وقلاع طريق الحاج الشامي بصفة خاصة لحشد قواتها وآلاتها بها لتسهيل إمداد والى الشام بها حين قيام ثورات داخلية في الشام، وخير مثال على ذلك الحروب الأهلية التي حدثت في «دير القمر وزحله» وغيرهما من نواحي الشام سنة ١٢٦٥ هـ/ ١٨٤٨ م، والتي انتهت بقتل ثلاثة آلاف رجل من النصاري ونحو أربعمائة رجل من الدروز<sup>٣٢</sup>.

واستمرت قلعة ذات الحاج في أداء مهامها خدمة لركب الحاج الشامي، وموقعاً عسكرياً تابعاً لوالى الشام حتى تم الاستغناء على خدماتها بعد إنشاء سكة حديد الحجاز ومدته من «دمشق» إلى «المدينة المنورة» السلطان عبدالحميد<sup>٣٣</sup>، وذلك سنة ١٣١٨ هـ/ ١٩٠٠ م، وإنشاء مبان خاصة بسكة الحديد في محطة «ذات الحاج»، ووصل أول قطار إلى «المدينة المنورة» في الثالث من شهر شعبان سنة ١٣٢٦ هـ/ ١٩٠٨ م.

## وصف عمارة القلعة

تم الوقوف ميدانياً على مبنى القلعة، وتم رفعه هندسياً من واقع الطبيعة<sup>٣٤</sup>، والمنطقة التي بُنيت فيها القلعة منطقة زراعية بها الأشجار المختلفة الأنواع، وبلغت مساحة المبنى (٦٠، ٢٣ × ٨٠، ٢٣ م)، وبلغ سمك الجدران الخارجية لمبنى القلعة (٨٠، ١ م). ومبنى القلعة في مجموعة يتكون من ثلاث طوابق، والتخطيط العام عبارة عن فناء مكشوف به عين ماء، وترتكز حجرات وغرف القلعة على السور الجنوبي الغربي من الداخل<sup>٣٥</sup>.

Danismend, Cild 4, Sahife 285-379.

٣٤. أشكال أرقام (١-٢٠)، لوحة رقم (١-١٣) في هذا البحث؛ وأورد الدكتور علي غبان في مسحه الأثرى لآثار المنطقة الشمالية الغربية من المملكة العربية السعودية صورتان لمبنى قلعة ذات الحاج من الخارج وصورتان لنقش القلعة، وتفريغان لواجهتي القلعة من الخارج فقط، ولم يورد رفعاً هندسياً لمبنى القلعة بأدواره الثلاثة والبركة الواقعة خارج المبنى. انظر: علي غبان، الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، ص ١٤٦-١٥١.

٣٥. لوحة رقم (٥)، شكل رقم (٦-٩).

٢٨. إبراهيم الخياري، تحفة الأدباء، ج ١، ص ٧٧-٧٨.

٢٩. انظر دراسة نص تأسيس القلعة في هذا البحث، لوحة رقم (٣)، شكل رقم (١٨).

٣٠. انظر لوحة رقم (١٢) في هذا البحث.

٣١. تولى السلطة في الفترة من سنة ١٢٥٥ هـ/ ١٨٣٩ م إلى سنة ١٢٧٧ هـ/ ١٨٦١ م.

Danismend, Izahli Osmanli tarihi Kronolojisi, p. 121-196.

٣٢. محمد كرد على، خطط الشام، ج ٣، ص ٧٤-٧٥.

٣٣. تولى السلطنة في الفترة من ١٢٩٣ هـ/ ١٨٧٦ م إلى سنة ١٣٢٧ هـ/ ١٩٠٩ م.

ويتوسط مدخل القلعة الضلع الشمالي الغربي ويتسع بمقدار (٢,٠٠ م) ويقضى إلى دهليز أبعاده (٢,٨٠ × ٢,٠٠ م) سقف بقبو متقاطع، ويتجه الداخلى إلى اليمن ويسلك ممراً أبعاده (٣,٢٠ × ٢,٠٠ م) سقف بقبو مدبب<sup>٣٦</sup>. ويتجه الداخلى إلى اليسار ويسلك ممراً أبعاده (٣,٢٠ × ٢,٠٠ م) سقف بقبو مدبب أيضاً ويقضى الممر إلى فناء القلعة وهو مساحة مفتوحة أبعادها (١٨,٨٠ × ١٠,١٤ م)<sup>٣٧</sup>.

وتتركز حجرات وغرف القلعة بطوابقها الثلاث في الجزء الجنوبي الغربي من التخطيط، ففي الطابق الأرضى خمس حجرات تفتح على فناء القلعة مساحتها على التوالى (٣,٠٠ × ٤,٤٠ م)، (٣,٢٠ × ٤,٤٠ م)، (٣,٤٠ × ٤,٤٠ م)، (٣,٤٠ × ٤,٤٠ م)، (٣,٤٠ × ٤,٤٠ م) وحبوات الأراضى الخمسة بُنيت بالحجر الرملى المنحوت، وسُقت بقبوات مدببة.

وتعلو حجرات الطابق الأرضى خمسة غرف متلاصقة يصعد إليها بسلم من فناء القلعة<sup>٣٩</sup>، ومساحتها على الترتيب (٣,٥٠ × ٣,٥٠ م)، (٣,٦٠ × ٣,٥٠ م)، (٣,٦٠ × ٤,٢٠ م)، (٣,٤٠ × ٣,٥٠ م)، (٣,٥٠ × ٣,٥٠ م). وبُنيت الغرف بالحجر الرملى المنحوت وسقف بسقف مسطح ما عدا الغرفة الوسطى سقت بقبو ضحل وتحتوى على محراب مجوف، واستخدمت هذه الغرفة مسجداً للقلعة ويفتح بكامل جداره على الممر<sup>٤٠</sup>.

ويصعد إلى الطابق الثالث بسلم يقع في الركن الغربى ويتكون الطابق الثالث من أربعة غرف بُنيت بالحجر الدبش، ويبدو أنها مضافة على البناء، وسُقت بسقف مسطح من عروق الأشجار متهدم حالياً، ومساحات الغرف على التوالى (١,٨٠ × ٢,٤٠ م)، (٢,٣٠ × ٢,٥٠ م)، (٢,٣٠ × ٢,٥٠ م)، (٢,٣٠ × ٢,٥٠ م)، (٢,٣٠ × ٢,٥٠ م). وتحتوى الغرفة الركنية الواقعة في الطابق الثالث على سقاطان<sup>٤٢</sup> تستعمل كمراحيض للقلعة.

أما خارج القلعة فنجد في الجزء الملاصق للقلعة من الجهة الشمالية الشرقية بركة القلعة، ومساحتها (٢١,٧٠ × ٣٨,٢٠ م)، وسمك جدارها (٦٠ سم) تستمد مائها من نبع يقع داخل القلعة، ويصل الماء إلى البركة بواسطة قناة حجرية مطمورة حالياً<sup>٤٣</sup>.

والجدير بالذكر أن مبنى القلعة وبركتها ورد ذكرها في تقرير مؤرخ في ٢٧ من شهر صفر سنة ١٢٥١ هـ/ ١٨٣٤ م، يصف القلعة والبركة وصفاً عاماً، وجاء اسم المحطة في التقرير دار الحج<sup>٤٤</sup>.

٣٦. لوحة رقم (٦).  
 ٣٧. لوحة رقم (٧، ٨، ٩، ١٠)، شكل رقم (١٠-١٣).  
 ٣٨. شكل رقم (٢).  
 ٣٩. شكل رقم (٣)، لوحة رقم (٧، ١١).  
 ٤٠. شكل رقم (٣) لوحة رقم (٦، ٩).  
 ٤١. شكل رقم (٤، ٨، ٩)، لوحة رقم (٦، ٧، ٩).  
 ٤٢. شكل رقم (١٥-١٨)، لوحة رقم (١).  
 ٤٣. شكل رقم (١٤)، لوحة رقم (٩).  
 ٤٤. هشام عجمي، القلاع ومناهل المياه في طريق الحاج الشامي، ص ٢٣-٢٤.

## الكتابة التذكارية

يعلو مدخل القلعة نص تذكاري يُؤرخ إنشاء القلعة في شهر صفر من سنة ٩٧١ هـ/ ١٥٦٣ م<sup>٤٥</sup>، وقد نشر هذا النص الزميل الدكتور على غبان<sup>٤٦</sup>، وأورد بصمة للنص وقرأ محتوى النص وكنتم قد قمت بعمل بصمة للنص<sup>٤٧</sup>، وقرأت محتواه وعند مقارنة القراءتين وجدت اختلافاً جديراً بالذكر والتسجيل. فقد قرأ الزميل الدكتور على غبان النص كالتالي:

١. بسم الله الرحمن الرحيم.
٢. هذا عمل المعلم عبدالله بن.
٣. الفقير المعمار بشي الشام في سنت.
٤. أحد وسبعين وتسعمائة في شهر صفر.
٥. المبارك وكان عمارتها في أربعين يوم.

أما قراءتي للنص فهي كالتالي:

١. بسم الله الرحمن الرحيم.
٢. هذا عمل المعلم محمد الأبر.
٣. الفقير المعمار بحى الشام في سنة.
٤. أحد وسبعين وتسعمائة في شهر صفر.
٥. المبارك وكان عمارتها في أربعين يوم.

وأهم ما في النص هو تاريخ الإنشاء وهو شهر صفر من عام ٩٧١ هـ، وهذا ليس عليه خلاف في القراءتين. أما الاختلاف فينحصر في اسم المعلم الذي قام بإنشاء القلعة ففي القراءة الأولى (عبدالله بن الفقير) وفي الثانية (محمد الأبر الفقير).

الاختلاف الثاني لقب المعمار، ففي القراءة الأولى (المعمار بشي الشام)، وفي القراءة الثانية: (المعمارى بحى الشام) ولا يوجد في العربية ولا التركية لقب (معمار بشي)، ففي العثمانية النسبة إلى الصنعة يكون بإضافة (جى) فتصبح (معمار جى) والنص مكتوب بالعربية.

الاختلاف الثالث: كلمة (سنت) في القراءة الأولى بالتاء المفتوحة، وفي القراءة الثانية (سنة) بتاء مربوطة. الاختلاف الرابع: الهمزة في كلمة (تسعمائة) في القراءة الأولى، وفي القراءة الثانية (تسعمائة) بالياء، وهو المستعمل في رسم الكتابة للسنوات في الفترة العثمانية كما يعرف المختصون.

والنص مكتوب على حجر رملي مساحته ٢٥ × ١٧ سم<sup>٤٨</sup> بخط نسخي بارز لا يرقى من الناحية الفنية الجمالية إلى مستوى خط النسخ في هذه الفترة.

٤٧. شكل رقم (١٩)، لوحة رقم (٣).

٤٥. شكل رقم (١٩) لوحة رقم (٢، ٣).

٤٨. لم يورد على غبان مساحة النص، ولعله اكتفى بإيراد بصمة للنص.

٤٦. على غبان، الآثار الإسلامية، ص ١٤٩، شكل رقم (٥٦).

ومضمون النص يذكر التاريخ الفعلي لإنشاء القلعة وهو شهر صفر سنة ٩٧١ هـ/ ١٥٦٣ م وأن المدة الزمنية للبناء أربعين يوم وهذا يعنى أنه بدئ في الإنشاء في شهر محرم والانتها في شهر صفر. أما الأمر السلطاني فقد صدر في شهر ذى القعدة سنة ٩٦٧ هـ/ ١٥٥٩ م، فيكون الفرق بين صدور الأمر والبناء الفعلي حوالى ثلاث سنوات والسبب في هذا التأخير في بناء قلعة ذات الحاج أن الأمر السلطاني اشتمل على بناء ثلاث قلاع في كل من ذات الحاج وتبوك والأخضر<sup>٤٩</sup>، فضلاً عن بناء قلعة ضخمة في طريق الحاج المصرى في سنة ٩٦٨ هـ/ ١٥٦٠ م، وهى قلعة المويلح<sup>٥٠</sup>.

أما النص الثانى الخاص بقلعة ذات الحاج<sup>٥١</sup>، فكتب حفراً على حجر من الرخام الأبيض مساحته ٤٥ × ٣٢ سم محفوظ حالياً بإمارة ذات الحاج. وقد قام الزميل الدكتور على غبان بنشر هذا النص<sup>٥٢</sup>، وأورد بصمة للنص<sup>٥٣</sup>، وقرأت محتواه وعند مقارنة القراءتين وجدت اختلافاً جديراً بالذكر والتسجيل، فقد قرأ الزميل على غبان النص كالتالى:

١. تجدد عمارة هذا.
٢. القلعة وعزال بركتها.
٣. في عصر مولانا السلطان.
٤. عبد المجيد نصره الرب.
٥. المعين وأيام سعادة أفندي.
٦. الحاج عثمان باشا وسعادة.
٧. سرلو بين دركاه على.
٨. السيد أحمد أغا اليوسف.
٩. كيلار أميني المفخم في محرم سنة ١٢٦٦.

أما قراءتى للنص فهى كالتالى:

١. تجدد عمارة هذا.
٢. القلعة وعزال بركتها.
٣. في عصر مولانا السلطان.
٤. عبدالمجيد نصره الرب.
٥. المعين وأيام سعادة أفندينا.
٦. الحاج عثمان باشا وسعادة.
٧. سردار أمين دركاه على.
٨. السيد أحمد أغا اليوسف.
٩. كيلار أميني المفخم في محرم سنة ١٢٦٦.

٤٩. القرمانى، أخبار الدول، ص ٤٤٠.

٥٠. هشام عجيمى، قلعة المويلح، اللوحة التأسيسية.

٥١. شكل رقم (٢٠)، لوحة رقم (١٢).

٥٢. شكل رقم (٢٠)، لوحة رقم (١٢).

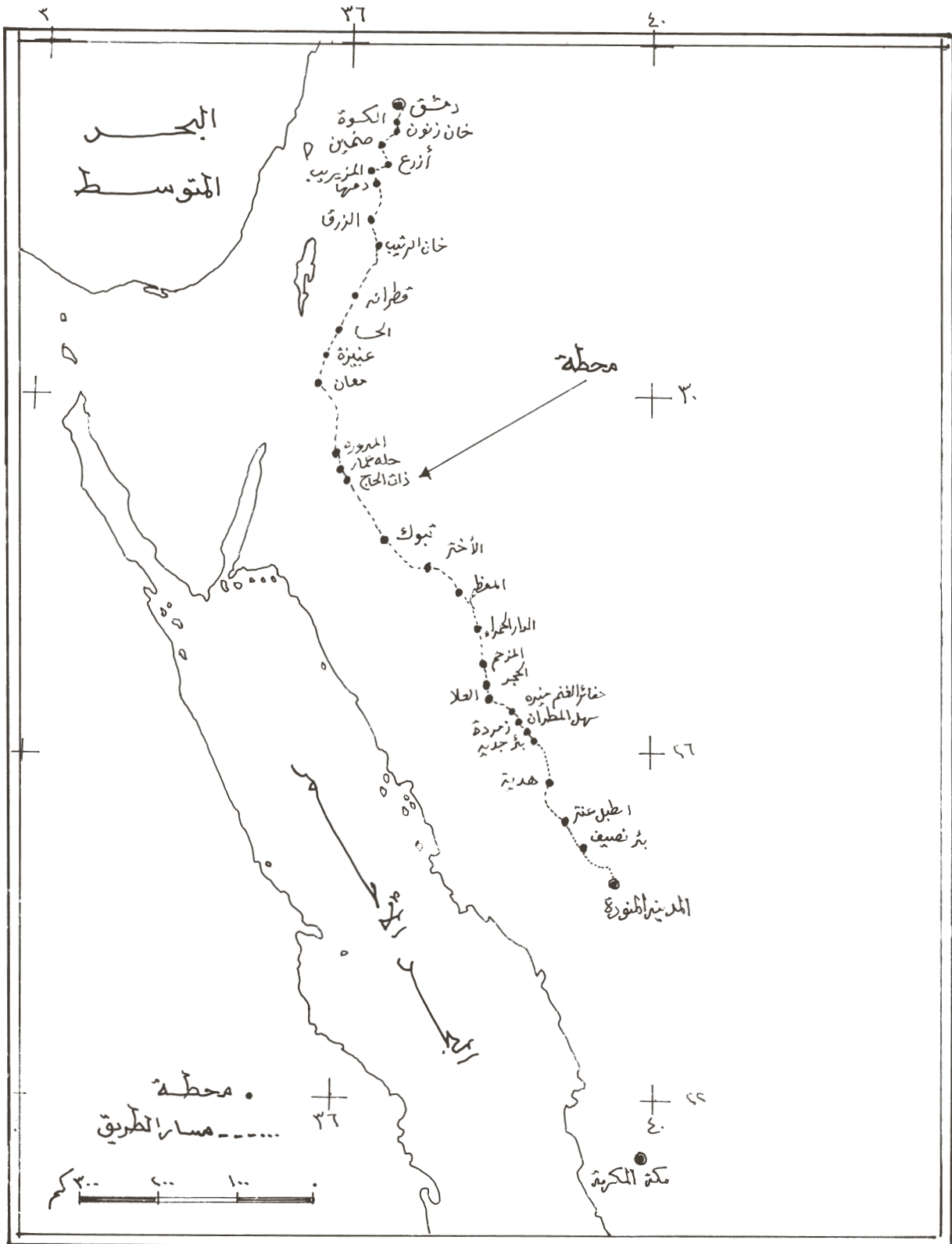
وأهم ما في النص هو تاريخ التجديد الذي تم في شهر محرم من سنة ١٢٦٦هـ، وأنه تم في عهد السلطان العثماني عبدالمجيد، وهذا لا خلاف عليه في القراءتين، أما أهم الاختلافات في القراءتين فهي على النحو التالي:

١. كلمة (بركتها) في القراءة الأولى، والصحيح (بركتها) في القراءة الثانية.
٢. كلمة (أفندی) في القراءة الأولى، والصحيح (أفندينا) في القراءة الثانية.
٣. كلمة (سرلوا بين دركاه عالی) في القراءة الأولى، والصحيح (سردار أمين دركاه عالی)، لأنه لا توجد وظيفة في الفترة العثمانية اسمها (سرلوا بين دركاه عالی)، وإنما الموجود في كتب دساتير الوظائف والألقاب في الفترة العثمانية وظيفة (سردار أميني)، و (كيلار أميني)، والسردار من الرتب العسكرية وتُعرف أيضاً باسم (سر عسكر)، وهي رتبة توازي مرتبة وزيراً<sup>٥٤</sup>. أما وظيفة (كيلار) فهي من الوظائف التي يتولاها من يقوم بتأمين الأتعمة والأشربة بصفة عامة سواء للجيش أو للقصور السلطانية<sup>٥٥</sup>، وعليه فإن وظيفة السيد احمد آغا اليوسف الذي ورد اسمه في النص كان على مرتبة وزير وأميناً على طريق الحاج الشامي، والمسؤول عن تأمين الأتعمة والأشربة (سردار أمين دركاه عالی)، و(كيلار أميني).

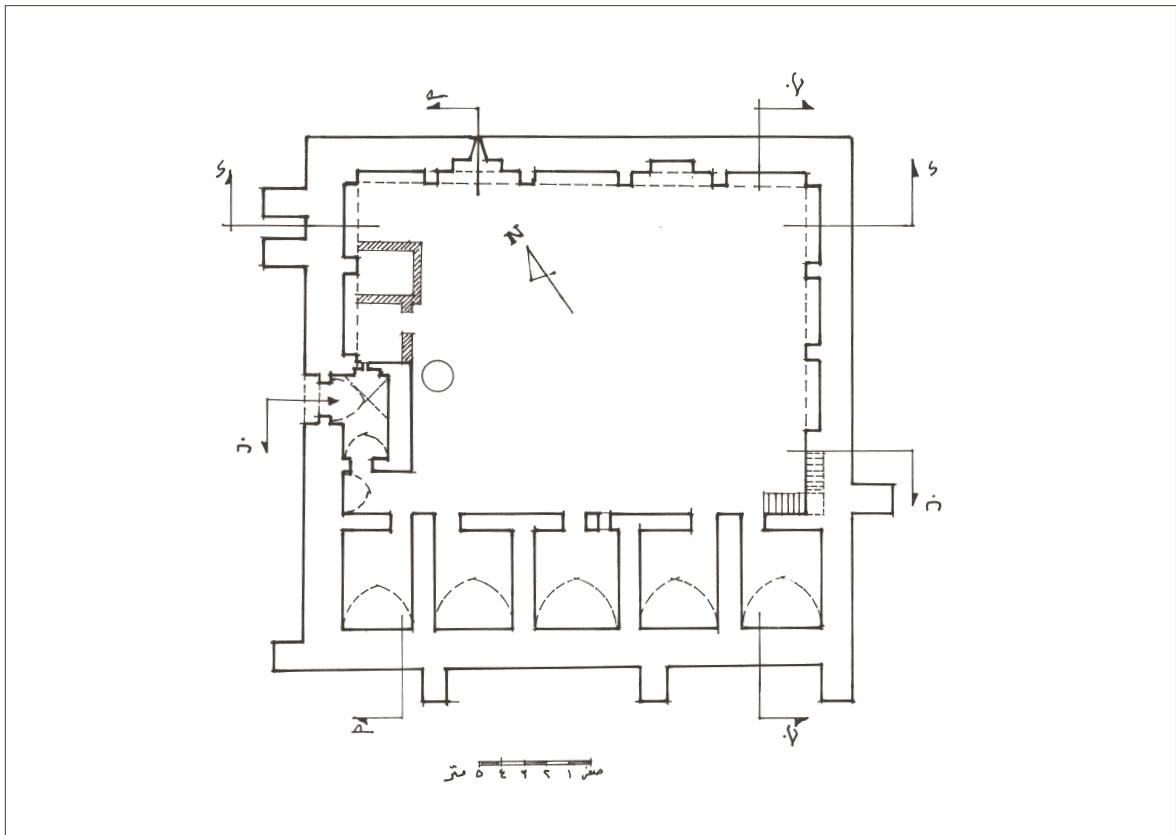
### ثبت المصادر والمراجع

- إبراهيم الخياري المدني، تحفة الأدياء وسلوة الغرباء، بغداد، ١٩٨٠ م.
- ابن بطوطة (محمد عبدالقادر اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأشعار، بيروت، ١٣٨٤ هـ.
- أحمد دراج، المالك والفرنج في القرن التاسع الهجري، دار الفكر، القاهرة، ١٩٦١ م.
- البغدادي (صفي الدين)، مرصد الاطلاع، تحقيق محمد البيجاوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م.
- الجزيري (عبدالقادر بن محمد)، درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، نشر محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٤ هـ.
- حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، شمال المملكة، دار اليمامة، الرياض، ١٣٩٧ هـ.
- سامي صالح عبدالملك، درب الحاج المصري همزة وصل غرب العالم الإسلامي بالخرمين الشريفين «دراسة تاريخية
- آثارية»، الندوة الكبرى لمكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦ هـ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.
- ، قلعة نخل على درب الحاج المصري في سيناء «دراسة آثارية معمارية جديدة في ضوء الحفائر الآثارية»، المشكاة الحولية المصرية للآثار الإسلامية، مج ١، المجلس الأعلى للآثار، القاهرة، ٢٠٠٦ م.
- سيد عبدالمجيد بكر، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ط ١، الكتاب الجامعي رقم (٦)، مؤسسة تهامة، جدة، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م.
- على حامد غبان، الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، مدخل عام، ط ١، دار سفير، الرياض، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.
- الغزي (نجم الدين)، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق د. جبرائيل سليمان جبور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩ م.

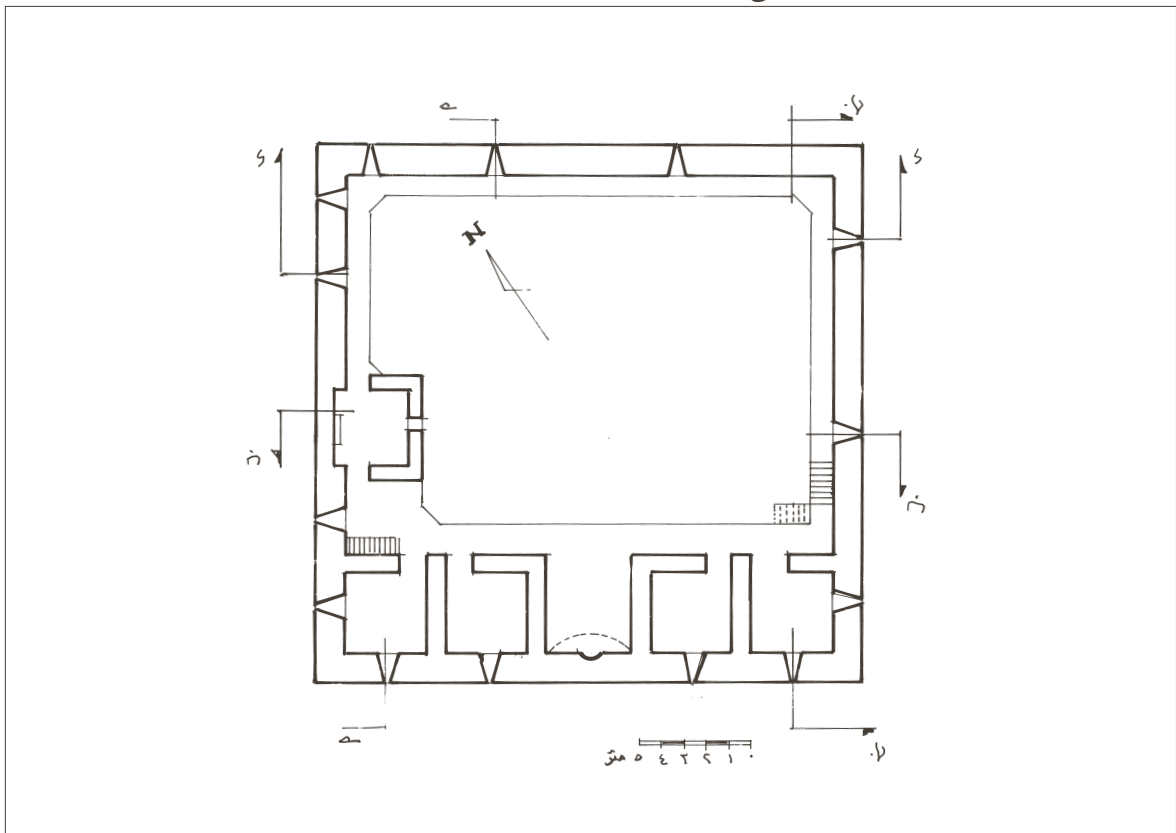
- القرمانى (أبى العباس أحمد بن يوسف الدمشقى الشهير بالقرمانى)، كتاب أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ، عالم الكتب، بيروت، د. ت.
- كبريت (محمد بن عبدالله الحسينى الموسوى الشهير بكبريت)، رحلة الشتاء والصيف، القاهرة، المطبعة الوهيبية، ١٢٩٣ هـ.
- محمد كرد على، خطط الشام، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩ م.
- محمد لبيب البتونى، الرحلة الحجازية، ط ٢، مطبعة الجمالية، مصر، ١٣٢٩ هـ.
- المقريزى (تقى الدين على)، المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار، مطبعة بولاق، القاهرة، د. ت.
- النايسى (عبدالغنى)، الحقيقة والمجاز فى رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز، مخطوط رقم (٤١)، مكتبة الحرم المكى الشريف.
- هشام محمد على عجمى، قلعة المويلح دراسة معمارية حضارية، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م.
- ، قلاع الأزمن والوجه وضبا فى المنطقة الشمالية الغربية من المملكة العربية السعودية، دراسة معمارية حضارية، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م.
- ، قلعة تبوك، مجلة جامعة أم القرى، العدد الثانى، مكة المكرمة، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م.
- ، القلاع ومناهل المياه فى طريق الحاج الشامى من خلال وثيقة عثمانية، مجلة الروزنامة، العدد الرابع، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦ م.
- نوفان رجا الحمود، العسكر فى بلاد الشام فى القرنين ١٦، ١٧ م، ط ١، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠١ هـ.
- Danismend, I. H., *Izabli Osmanli tarihi Kronolojisi*, Türkiye yayinevi, Istanbul, 1971.
- Pakalin, M. Z., *Osmanli tarih deyimleri ve terimleri sozlugu. Ikinci basilis devlet kitaflari*, Milli egtim basimevi, Istanbul, 1971.



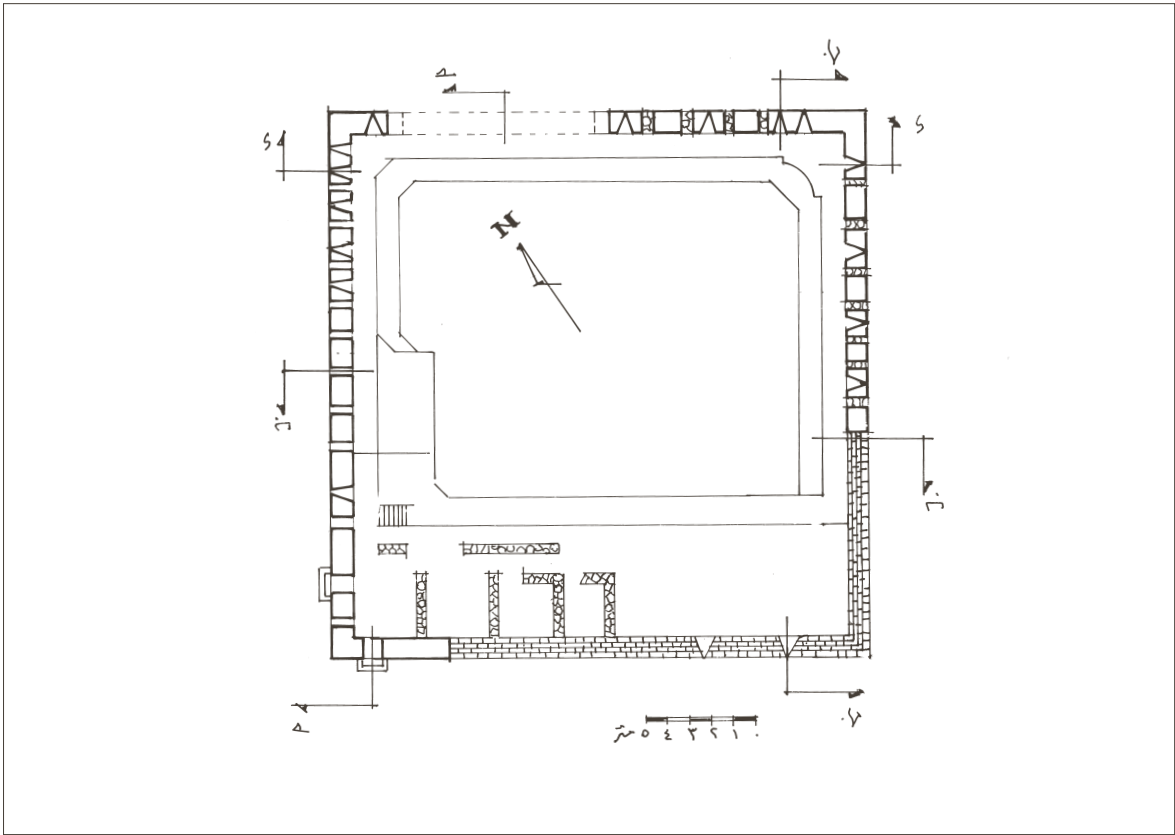
شكل ١. درب الحاج الشامي في العصر العثماني.



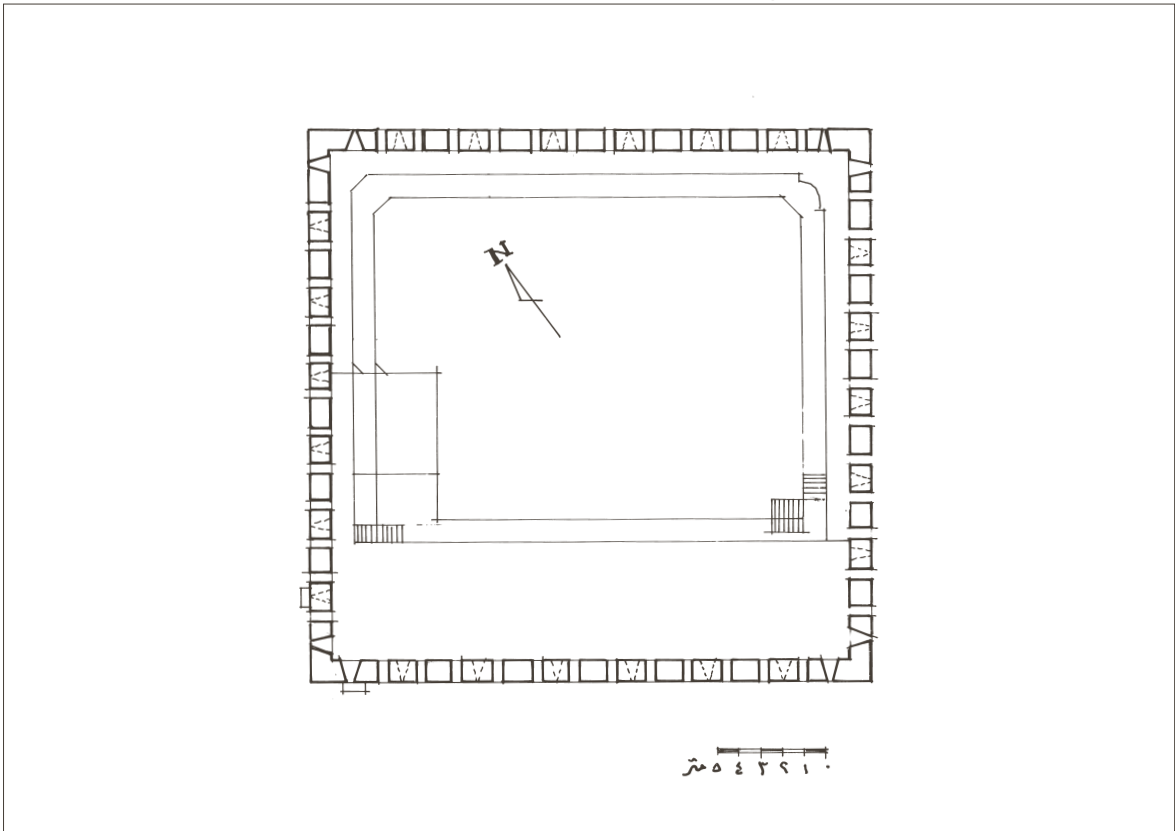
شكل ٢. مسقط أفقى للطابق الأرضى من قلعة ذات الحاج.



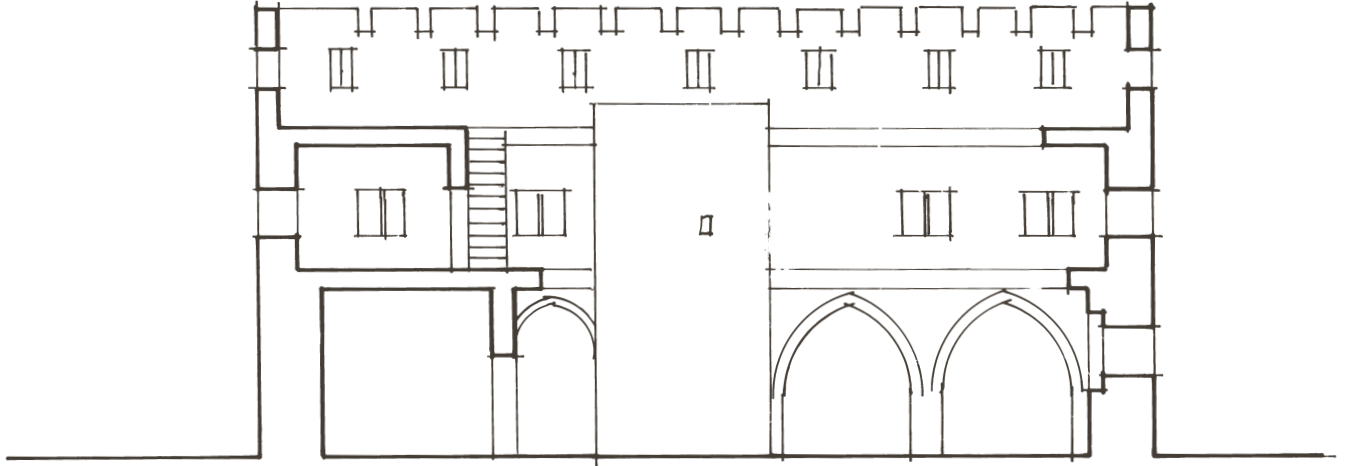
شكل ٣. مسقط أفقى للطابق الأول من قلعة ذات الحاج.



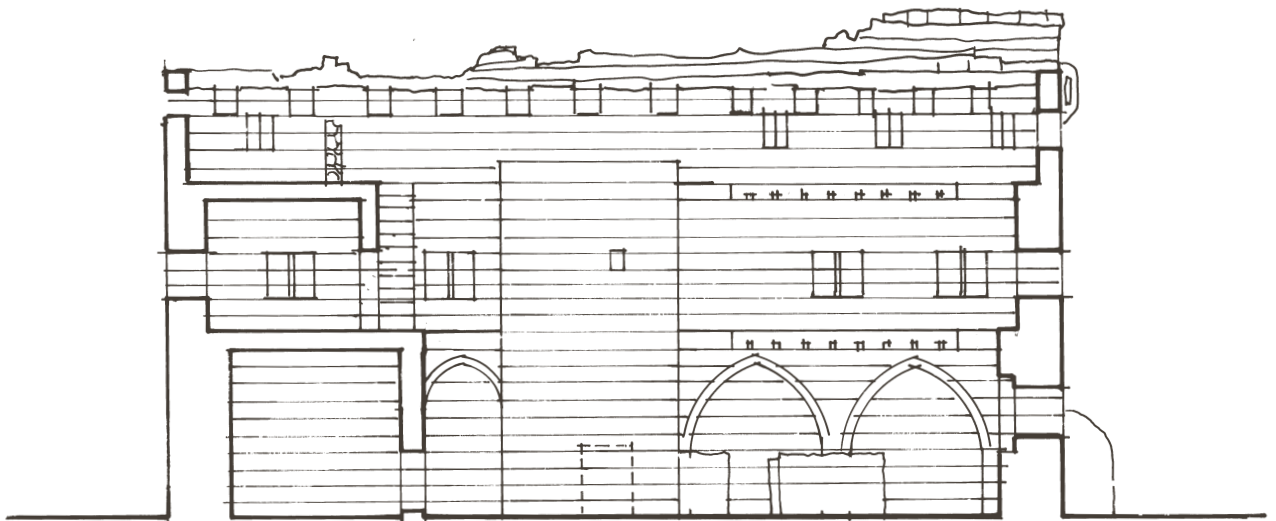
شكل ٤. مسقط أفقى للطابق الثانى من قلعة ذات الحاج.



شكل ٥. مسقط أفقى للطابق الثانى من قلعة ذات الحاج عند الإنشاء.

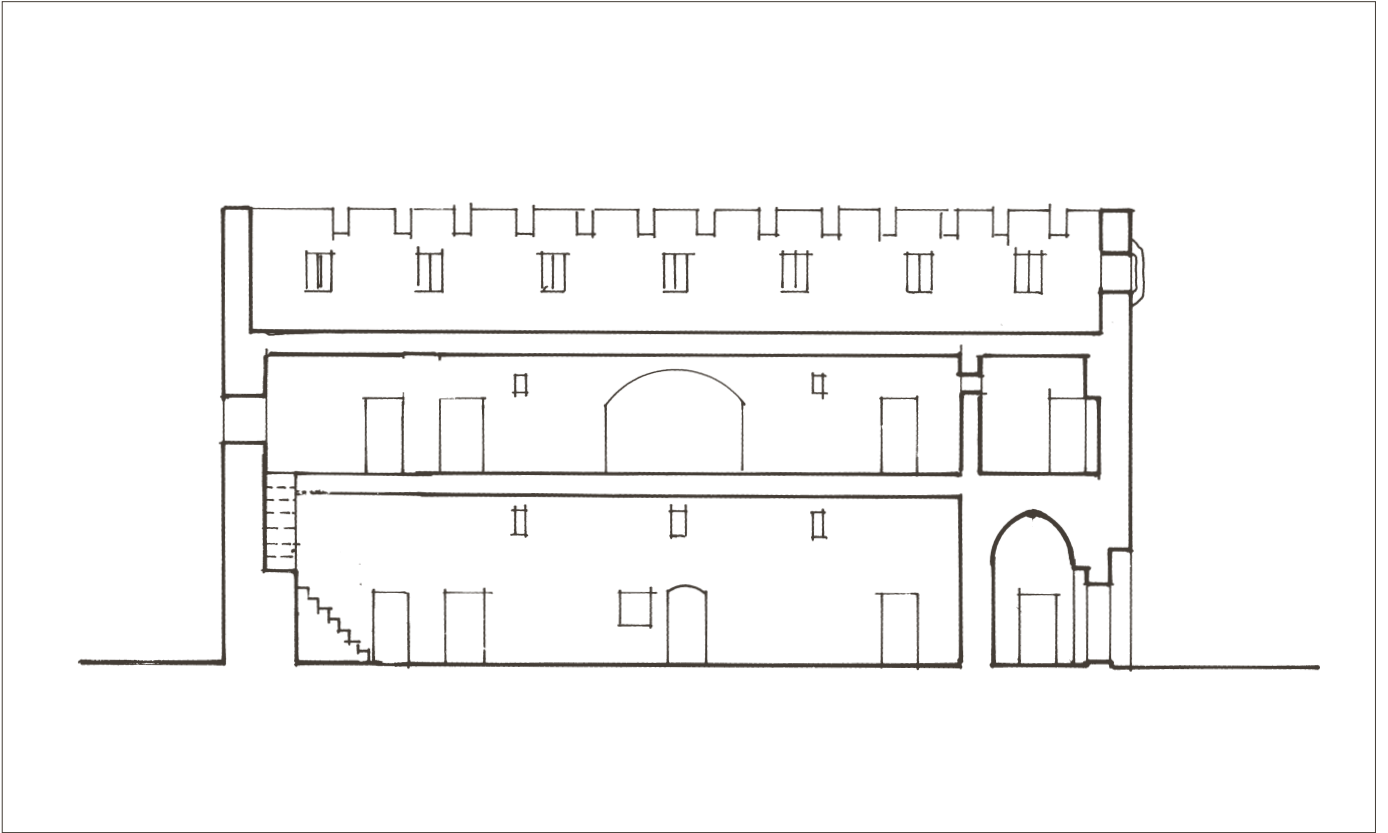


شكل ٦. قطاع طولى «أ-أ» للجزء الشمالى الغربى من الداخل عند الإنشاء.

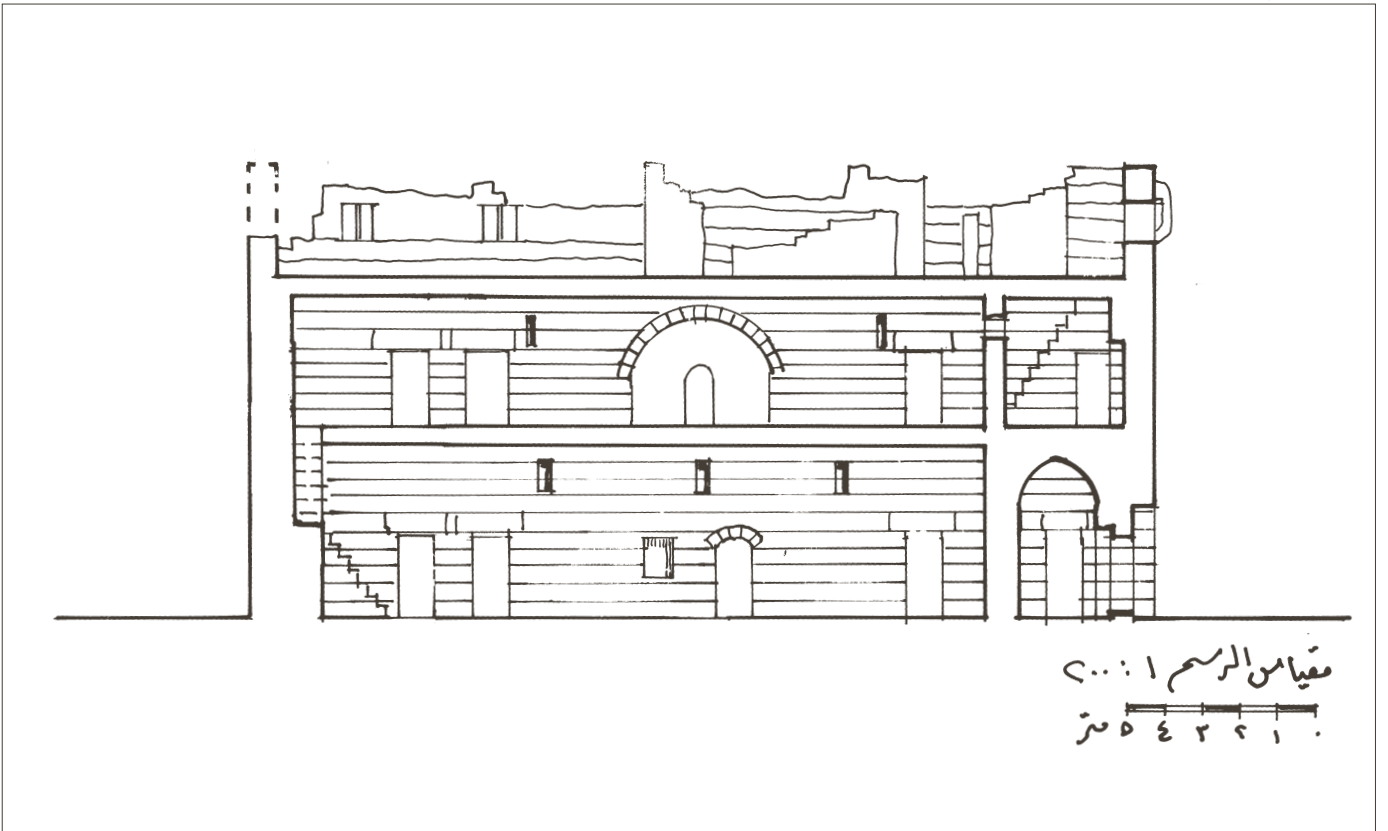


مقياس الرسم ١ : ٢٠٠  
٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠  
متر

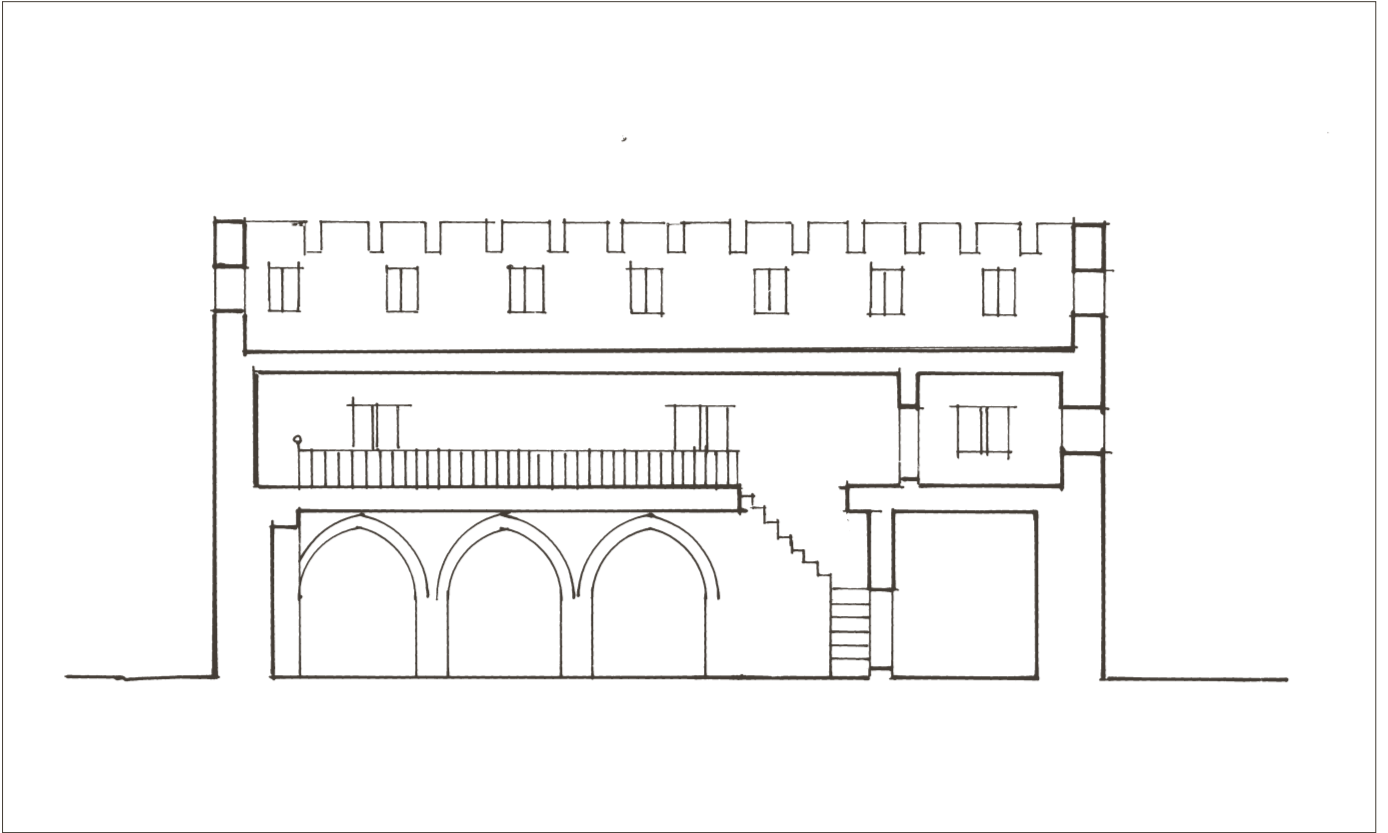
شكل ٧. قطاع طولى «أ-أ» للجزء الشمالى الغربى للمباني القائمة من الداخل حالياً.



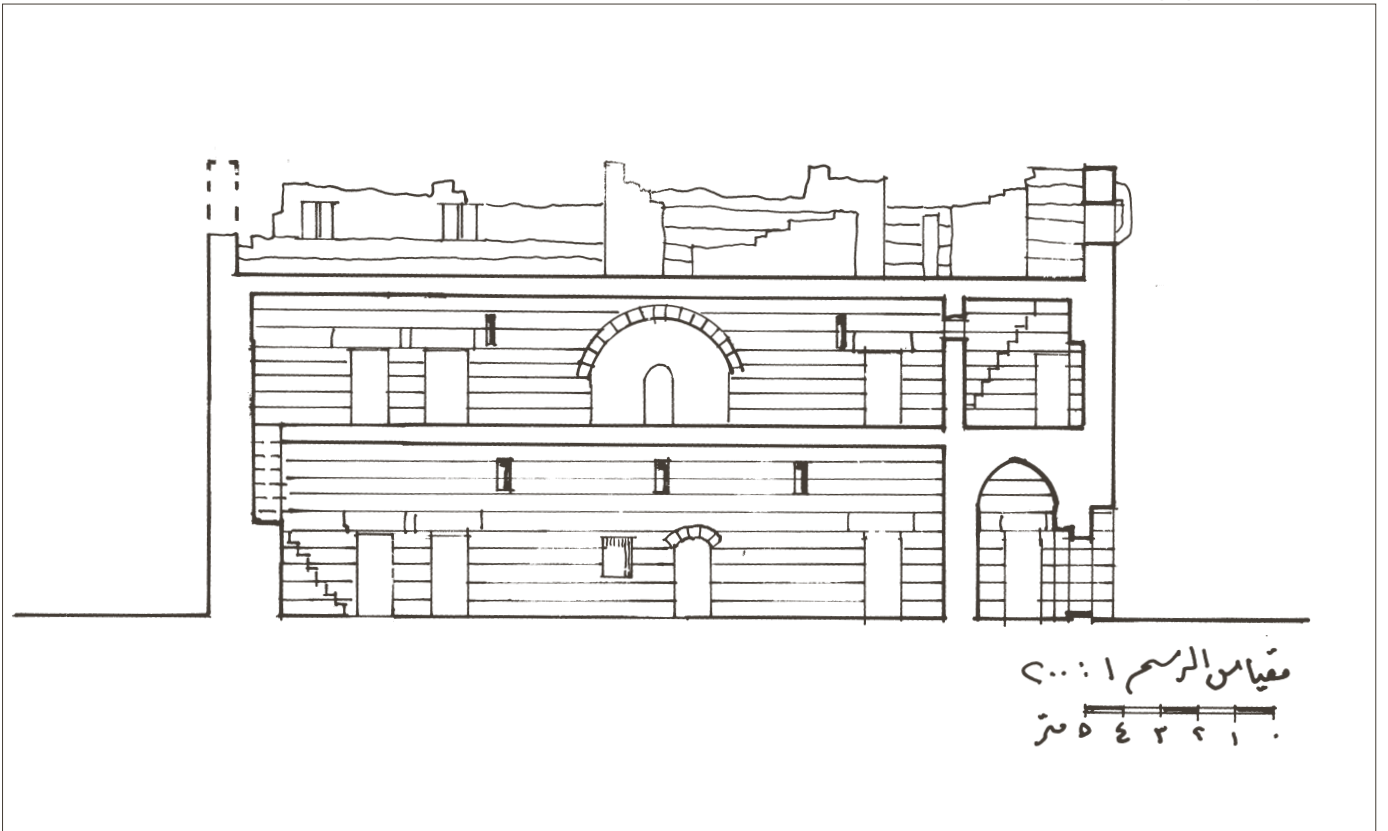
شكل ٨. قطاع طولي «ب-ب» للجزء الجنوبي الشرقي من الداخل عند الإنشاء.



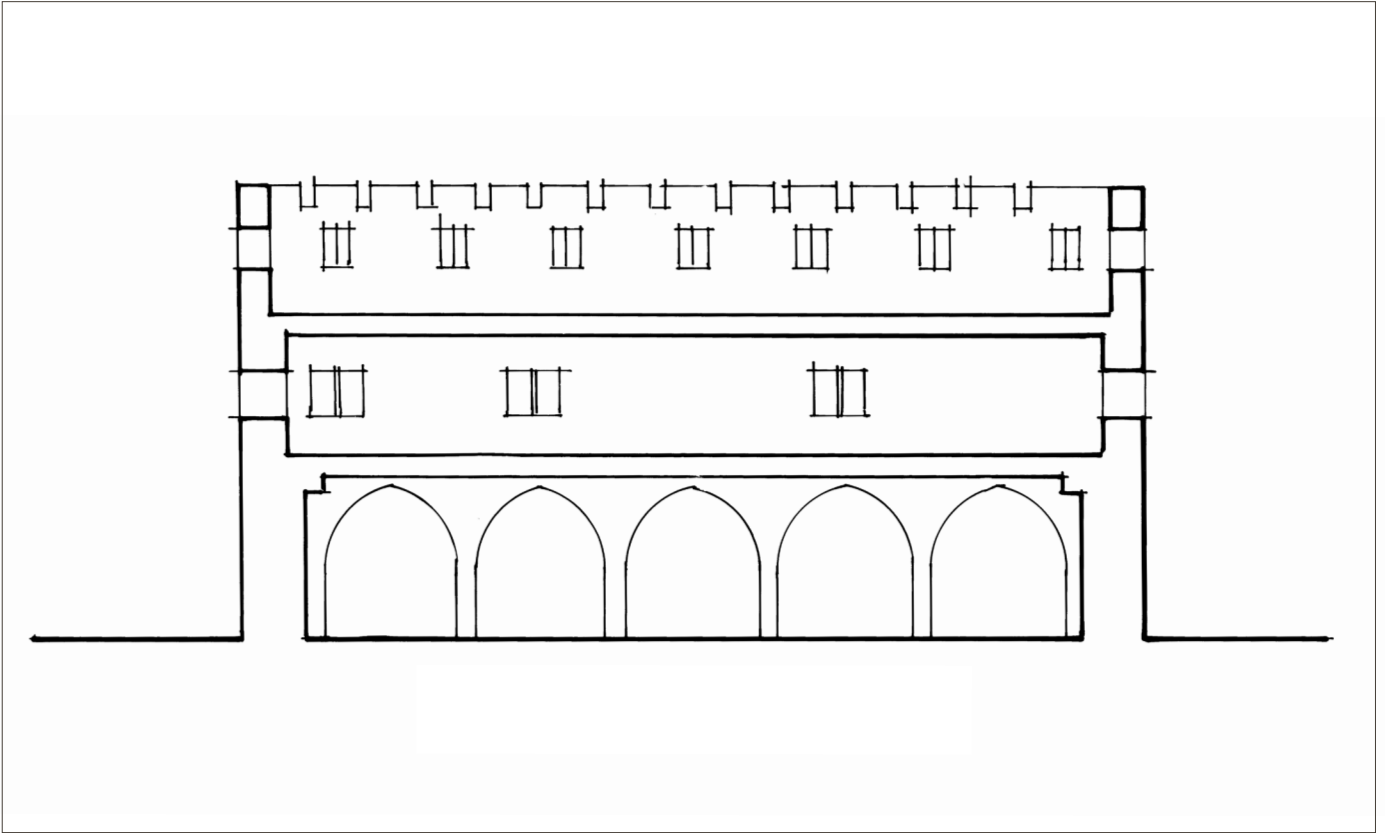
شكل ٩. قطاع طولي «ب-ب» للجزء الجنوبي الشرقي من الداخل للمباني القائمة حالياً.



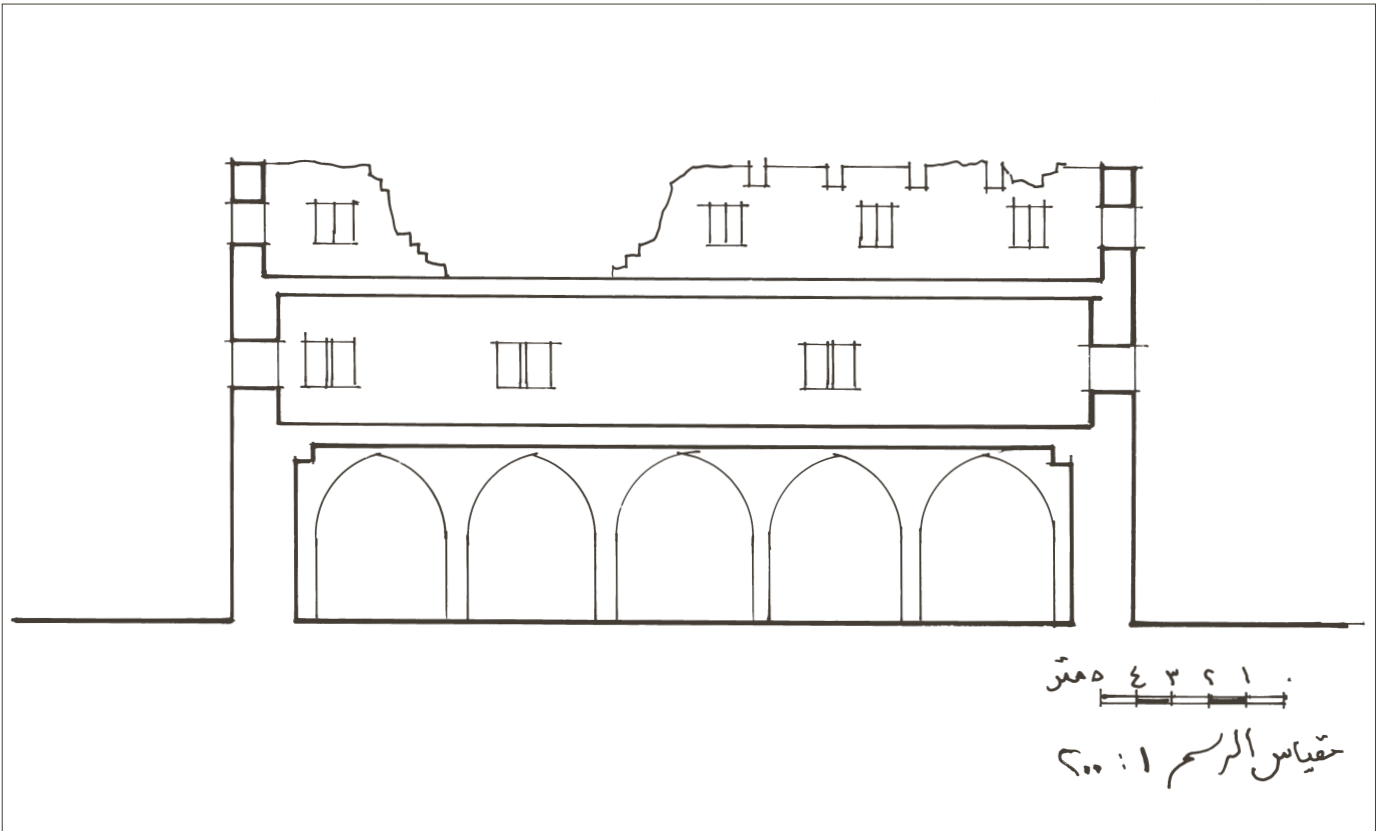
شكل ١٠. قطاع طولي «ج-ج» للجزء الجنوبي الشرقي من الداخل للمباني عند الإنشاء.



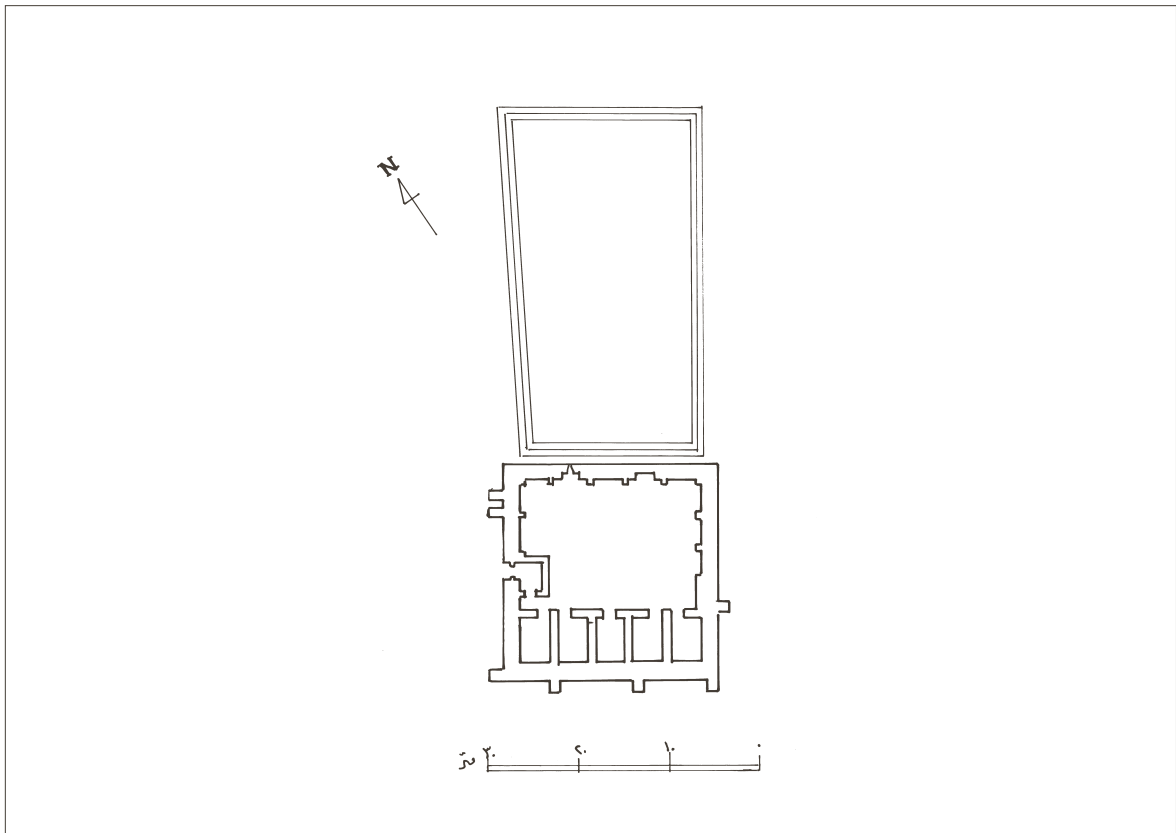
شكل ١١. قطاع طولي «ج-ج» للجزء الجنوبي الشرقي من الداخل للمباني القائمة حالياً.



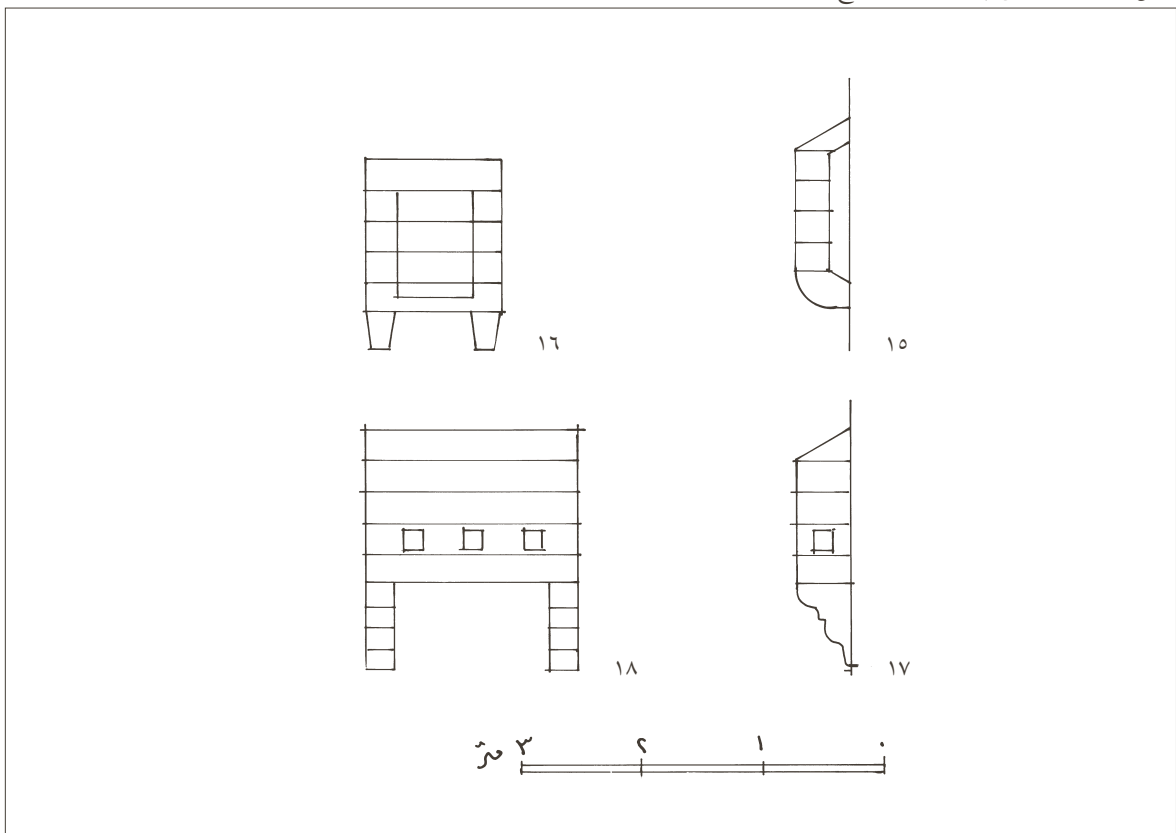
شكل ١٢. قطاع طولى «د-د» للجزء الشمالى الغربى من الداخل للمباني عند الإنشاء.



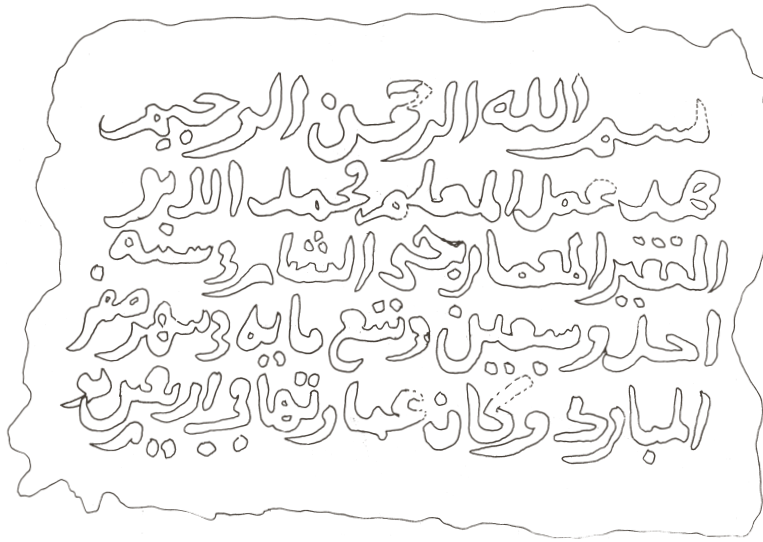
شكل ١٣. قطاع طولى «د-د» للجزء الشمالى الغربى من الداخل للمباني القائمة حالياً.



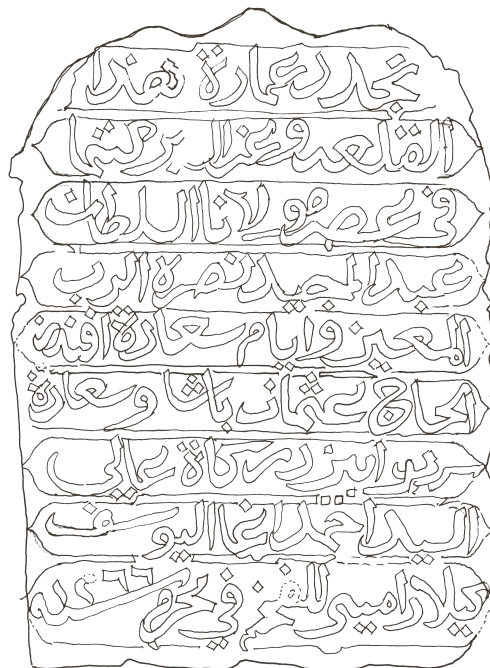
شكل ١٤ . مسقط أفقى لبركة قلعة ذات الحاج.



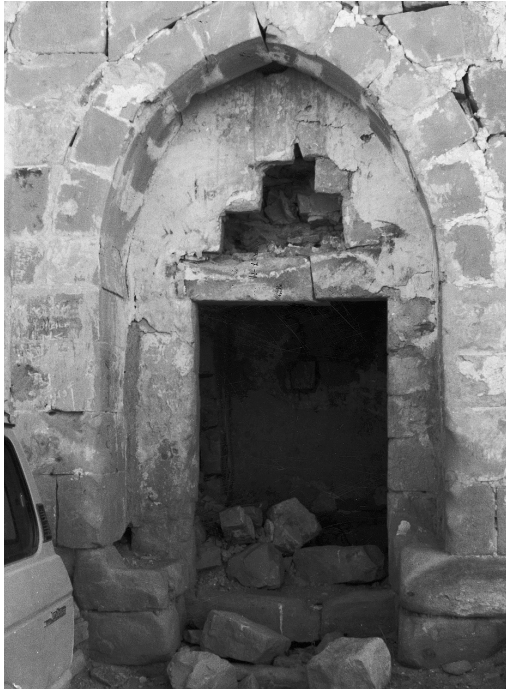
شكل ١٥-١٨ . مناظر جانبية وأمامية لسقافات قلعة ذات الحاج.



شكل ١٩. تفرغ للنقش التأسيسي لقلعة ذات الحاج.



شكل ٢٠. تفرغ لنقش تجديد قلعة ذات الحاج سنة ١٢٦٦هـ.



لوحة ٢. مدخل قلعة ذات الحاج.



لوحة ١. واجهة مدخل قلعة ذات الحاج.



لوحة ٣. النص التأسيسي للقلعة.



لوحة ٥. الممر المفضى إلى فناء القلعة وتظهر حجرات الطابق الأرضي.



لوحة ٤. الواجهة الجنوبية الغربية للقلعة.



لوحة ٧. الضلعين الجنوبي الشرقي والجنوبي الغربي وفناء القلعة.



لوحة ٦. ممر الطابق العلوي ومداخل الغرف والمسجد.



لوحة ٩. الضلعين الشمالي الغربي والجنوبي الغربي والطوابق الثلاث للقلعة.



لوحة ٨. الضلع الجنوبي الشرقي وممرات الأسوار.



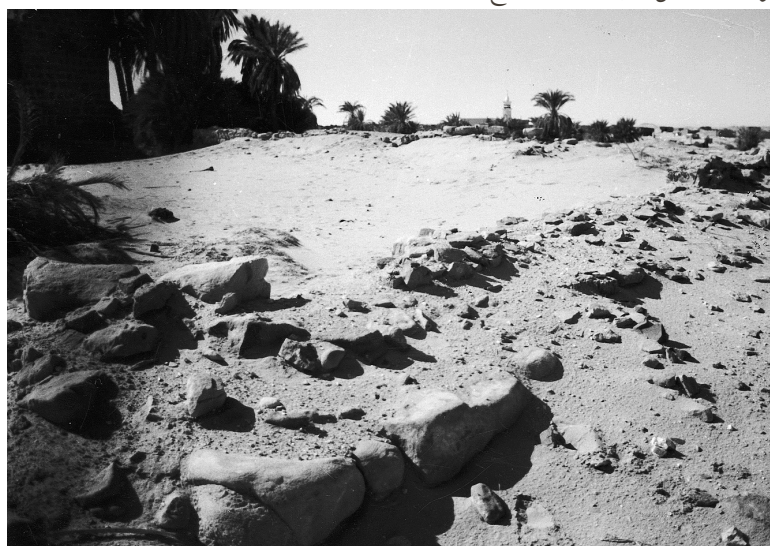
لوحة ١١. مسجد القلعة ومحراجه المجوف.



لوحة ١٠. الضلعين الجنوبي الشرقي والشمالي الشرقي وتظهر ممرات الأسوار.



لوحة ١٢. نص تجديد قلعة ذات الحجاج سنة ١٢٦٦ هـ.



لوحة ١٣. بركة مياه قلعة ذات الحجاج خارج القلعة مطمورة بالأتربة.

